بسم الله الرحمن الرحيم

أَحَادِيثُ الْفِتَنِ وَأَحْدَاثُهَا فِي ضَوْءِ الْفِقْهِ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَى

الحمدلله الذي خلق فسوَّى ، وقَدَّر فهدى ، لا يحدث شيء في كونه إلّا بعلمه وتدبيره جلّ وعلا ، والصلاة والسلام على نبيّ الهدى ، والرسول المجتبى ، وعلى آله صحبه ومن بهم اقتدى .

وبعد : فإن أحاديث الفتن شغلت حيّزًا كبيرًا في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم كيف لا ؟ وقد عبَّر عنها أعظم حُفَّاظها أبو هريرة رضي الله عنه ، بأَحد الوعاءين[1] وهو الوعاء الذي لم يبثه في الأمة .

وقد كثر في زماننا هذا الخَبْط والخَلْط في هذه الأحاديث ، والتقوّل على الله بلا علم ، بل وصل السفه ببعضهم إلى تحديد ظهور علامات عظيمة بتواريخ معينة ، وقد مضت هذه التواريخ ، ولم يحدث ما حددوا وقوعه فيها ، كما سيأتي بيانه .

إن الذي حداني إلى كتابة هذا المقال هو الرغبة في الإسهام بشيء يسير في معالجة ظاهرة التخبط في أحاديث الفتن ، وتنزيلها على واقع الناس اليوم ، أو الأشخاص البارزين في الأحداث المعاصرة ، مع الجرأة العجيبة والسفه الغريب .

وأتبعت ذلك بتقسيم الفتن ، ومعرفة أسبابها ، وكيف نكون مؤثرين في أحداثها إيجابًا لا متأثرين بها سلبًا .

وبادئ ذي بدء لابد من منطلقات لهذا الموضوع المهم تكون بمثابة القواعد أو المعالم الهادية التي يجب أن نعرفها قبل النظر في أحاديث الفتن ، وهي مستنبطة من كلام أهل العلم قدامى ومعاصرين .

أولًا : أن أحاديث الفتن – ولا سيما التي لم تقع أحداثها – من الغيب الذي لا يعلمه إلّا الله تعالى وإذا سلَّمنا جدلًا أن بعضها وقع ، فلا يجوز لأحد القطع بأن ما وقع هو الذي عناه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز لأحد أن يتكلم في هذه الوقائع وربطها بأحاديث الفتن غير الراسخين من علماء الأمة ، فهم المنوطون بالنظر في النوازل وآثارها والتعامل معها فقهًا وواقعًا ، ولا يسوغ لنا نحن طلاب العلم الصغار أن ندوك في هذه الأمور ونخوض فيها ، ناهيك عن الجهلة الذين لا يعرفون من العلم إلا الأنابيش التي ينتزعونها

من بطون الكتب مما وافق هواهم ، ولا يملكون من العقل وسداد الرأي نقيرًا[٢] ولا قطميرًا[٣] .

وليس من مسالك علماء السلف التعجل في تنزيل أحاديث الفتن على واقع الناس ، ولم يكونوا يقطعون بذلك حتى تتحقق أحداثها في الواقع تحققًا لا مرية فيه .

ولا سيما الفتن التي ارتبطت بأشخاص بأعيانهم مثل إخباره باستشهاد الخلفاء الراشدين الثلاثة[٤] رضي الله عنهم ، وتنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما ، وسُمِّي هذا العام عام الجماعة ، وتحقق في الواقع قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في الحسن رضي الله عنه : ((إِنَّ ابْنِـي هَـذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِين)) أخرجه البخاريّ[٥] .

ويلحق بهذا قول المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم في ظهور أمر المختار والحَجَّاج عليهما من الله ما يستحقان .

وقد جاء خبرهما في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، والذي أخرجه مسلم في صحيحه[٦] قالت : ((أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حَدَّثَنَا : أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا ، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ)) والمبير هو : المهلك الذي يسرف في إهلاك الناس وسفك دمائهم[٧] .

ولقد قتل الحَجَّاج أممًا من النَّاس ، منهم مائة وعشرون ألفًا قتلهم صبرًا[٨] ، أكثرهم من التابعين ، ومع ذلك تجد في زماننا هذا من ينبري للدفاع عنه وتبرئته ، نعوذ بالله من الخذلان .

ومما يحتمل تنزيله على الواقع في هذا الزمن العجيب ـ وهو من أقرب الأزمنة إلى قيام الساعة بلا ريب ـ كثرة القتل ، وهو ما سماه المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم ((الهَرْج)) كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ)) قَالُوا : وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولُ اللهِ ؟ قَالَ ((الْقَتْلُ الْقَتْلُ)) وهذا لفظ مسلم[٩] .

إن القتل يحصل في كل زمان ومكان ، وقد حصل في الأزمنة والأمم الغابرة قتْل أمم لا يُحصَوْن ، كمن قتلهم الحَجَّاج وهولاكو وغيرهما ، لكن هذه الكثرة التي ذكرها نبينا صلَّى الله عليه وسلَّم هي الكثرة المستمرة المستحكمة ، ولعل زمننا هذا ـ والعلم عند الله تعالى ـ هو زمن الهرج الوارد في هذا الحديث لأسباب وقرائن كثيرة ، منها :

١) أننا في آخر الزمان الذي تفاقمت فيه الفتن ، وتتابعت الشرور ، واشتد التنازع والاختلاف بين المسلمين وتداعى الأعداء عليهم من كل حَدَب وصَوْب ، كما جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا)) . قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: ((أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ ، وَيُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ)) قَالَ : قُلْنَا : وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ: ((حُبُّ الْحَيَاةِ ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))[١٠] .

والحديث صحيح بمجموع طرقه ومتابعاته .

وترتَّب على هذا التنازع والاختلاف ، وتكالب الأعداء إثارة أسباب الاقتتال بين المسلمين لأتفه الأسباب وأصبح الحال كما قال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم : ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَا قُتِلَ ؟))[١١] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

إننا نرى اليوم من يُكَلَّف من قبل هواة التفجير والتدمير ليقوم بوضع قنبلة موقوتة في حيّ من الأحياء ، أو يضع سيارة مفخَّخة ، أو يقوم بقيادتها لتفجير حيّ سكنيّ ، أو أي مرفق من المرافق ، دون أن يسأل من كلفه بذلك لِـمَ كَلَّفه بتنفيذ هذا العمل ، ويُقْتَلُ بهذا الفعل الإجراميّ العشرات على الأقل ، لا يدرون ما سبب قتلهم ؟

إن القتل في زماننا أصبح أمرًا مستحْكِمًا ومستمرًّا لا ينقطع ، وإنك لتسمع كل يوم أخبار مئات القتلى في العالم ، ولا يكاد يخلو بلد مسلم من ذلك .

٢) ساعد على هذا البلاء كثرة الأسلحة الفتَّاكة ، ومن أشدها فتكًا ما يسمونه أسلحة الدمار الشامل .

لقد كان القتال قبل اختراع هذه الأسلحة بأسلحة بدائيّة كالسيوف ، والسِّهام ، والرماح ، والخناجر،ونحوها .

أما في عصرنا هذا فإن السلاح يطلق من الأرض والسماء ، ومن البر والبحر ، ويطلق الصاروخ من مسافات بعيدة ليدمر حيًّا بأكمله ، وفي يوم واحد ، بل ساعات ، قتل صدام حسين مائة ألف من أهل حلَبْجَة وبقذيفة واحدة يهلك العشرات بل المئات أحيانًا ، كما حصل في قانا في لبنان ، وفي بعض المخابئ في العراق

وأفغانستان ، وغيرها .

وكان القتال قديمًا وإلى عهود قريبة ، يحصل بين جيوش الدول بسبب خصومات ونزاع على الحدود .

أما اليوم فقد أصبح القتل هواية ومتعة لدى كثير من الرؤساء الذين يحكمون بلادهم من أجل نهب خيراتها لأنفسهم وأولادهم ، فإذا عارضهم من عارضهم من شعوبهم تفننوا في قتلهم كما يفعل القذافيّ وأضرابه ، قبحهم الله تعالى ، ويستعين هذا الرئيس الممسوخ على قتل أفراد شعبه بمن شاء ، ويظن أنه بقتلهم سيظل ممكّنًا ما بقي على قيد الحياة ، وما علم أن هذا العمل الشنيع هو بشير زواله قريبًا بإذن الله تعالى ، كما قال الشاعر متهكّمًا برئيس هلك بسبب ما اقترفت يداه :

أَلَا اقْتُلْ كُلَّ مَن تَلْقَى إذَا اسْتَبْقَيْتَ لَنْ تَبْقَى
لِأَنَّ الْقَتْلَ بَعْدَ الْقَتْـ ـلِ طِبُّ الْأُمَّةِ الْحَمْقَى
قَتَلْتُ قَتَلْتُ ، لَا جَدْوَى غَدَوْتُ الْأَقْتَلَ الْأَشْقَى
أَبُتُّ جُذُورَهَا تَنْمُو أَحُزُّ رُؤُوسَهَا تَرْقَى
وَأَدْفُنُ مَنْ تُسَمِّيهِ نَقِيًّا ، يَصْعَدُ الْأَنْقَى

إن القذافيّ وأمثاله يصدق عليهم قول الشاعر القديم(١٢) يهجو رجل سوء :

لَوْ كُنتَ مَاءً لَمْ تَكُن طَهُورَا أَوْكُنتَ غَيْمًا لَمْ تَكُن مَطِيرَا
أَوْكُنتَ رِيحًا كَانَتِ الدَّبُورَا(١٣) أَوْكُنتَ بَرْدًا كُنتَ زَمْهَرِيرَا
أَوْكُنتَ أَرْضًا كُنتَ أَرْضًا بُورَا(١٤) أَوْكُنتَ مُخًا كُنتَ مُخًّا رِيرَا(١٥)

ومن المؤسف جدًّا أن يمارِس القتل أناس ينسبون أنفسهم إلى الجهاد ، فيفجِّرون ويدمِّرون ويقتلون النساء والأطفال والشيوخ ؛ من أجل وجود شخص أو أكثر من النصارى في هذا الحيّ أو ذاك من بلاد المسلمين وصار هذا السلوك الشائن ذريعة لحُكّام الغرب ، فضيقوا على الدعوة والعمل الخيريّ ، وتراجع العمل الإسلاميّ إلى الوراء عقودًا ، والله المستعان .

٣) قيام دول الغرب بإثارة النزاع بين دول المسلمين ، وتأجيج الصراع بين حكوماتها من أجل تنشيط تجارة السلاح وتحريك مصانع إنتاجه ، وإعداد صفقاته التي لا تنتهي .

فهذه الأسباب وغيرها تجعل إراقة الدماء في شعوب المسلمين متواصلةً ما دامت تُحقِّق للغرب مصالحه فإذا رأيت إيقافًا لحرب مستعرة بين دولتين ، فاعلم أن إيقافها من أجل مصلحة الأسياد ، وليس من أجل مصالح الدولتين المتحاربتين .

إن المتأمل في زماننا هذا وما يجري فيه من قتل مستحكِم ؛ يغلب على ظنه أنه الزمن الذي عناه نبينا صلَّى الله عليه وسلَّم بقوله : ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ)) كما تقدم ، والله تعالى أعلم .

لكن تنزيل أحاديث الفتن – وهي جزء من التأريخ – على واقع الناس يحتاج إلى نظر وتثبت ، وهو من وظائف الراسخين في العلم ، ولا يكفي في هذه الأحاديث مجرد النقل .

وقد أشار الإمام ابن خَلدون رحمه الله تعالى إلى هذا الأمر في معرض حديثه عن علم التاريخ وعظم منزلته فقال : ((إن الأخبار إذا اعْتُمِد فيها على مجرد النقل ، ولم تُحَكَّم أصولُ العادة وقواعدُ السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ، ولا قِيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يُؤْمَن فيها من العثور ، ومزلة القدم والحيد عن جادَّةِ الصدق ، وكثيرًا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالِط في الحكايات والوقائع ؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثًا أو سمينًا ، لم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط))[(١٦)] .

وهذا ما رأيناه في أزماننا هذه ، حيث عمد بعض الجهلة إلى الأحاديث الموضوعة والمنكرة وبنوا عليها حقائق في غاية الغرابة ، وأسقطوا الأحاديث الصحيحة في الفتن واشراط الساعة على أحداث معينة أو أشخاص بأعيانهم .

ومن عجائب إسقاطاتهم للأحاديث قولهم : إن السفيانيّ هو صدام حسين ، وأن الجبل الذي ينحسر عنه نهر الفرات هو البترول ؛ لأن لونه أسود .

ومن أعاجيبهم في ذلك : استعجالهم ظهور المهديّ المنتظر ، فهذا أحد المعتوهين جزم أن المهديّ سيظهر يوم الثلاثاء ٢٥ من محرم عام ١٤٢٠هـ ، وأن خروج الدجال في ١٥ من شعبان من عام ١٤٢٠هـ ، وأن عيسى عليه السلام سينزل في ٢٥ من رمضان عام ١٤٢٠هـ[(١٧)] ،وقد مضى على هذه التواريخ ١٢ عامًا،ولم يحدث شيء .

إن ما يصنعه هؤلاء هو من الفتن ، ولا تفسير لهذه الأراجيف إلا حب الظهور ، وإشغال الأمة، والكسب المادّيّ المحرم ؛ فإن الكتب التي يؤلفها هؤلاء السفهاء تجد رواجًا كبيرًا عند العوام ، حتى الكثير من طلاب العلم يجدون أنفسهم مضطرين لاقتنائها ليقفوا على ما فيها من ضلالات ، ويحذروا الناس منها ، وفي هذا رواج لكتبهم بطريق غير مباشر .

إن هؤلاء لا يخافون الله تعالى ، ولا يراقبونه ، بل لا يبعد أن يكون بعضهم صنيعة لأعداء الإسلام يحققون مآربهم ، وقد سبق هؤلاء إلى هذا الإسقاط وهوس التعلّق بالمهدي جهيمان وزمرته الذين استباحوا المسجد الحرام أيامًا وسفكوا الدم الحرام بناء على رؤى وتخيلات شيطانية ، والتفوا حول شخص اسمه ((محمد بن عبدالله القحطانيّ)) فحذفوا اسم القحطانيّ ، وأوهموه وأوهموا الناس أنه المهديّ المنتظر ، وأنه من ولد فاطمة وأن أوصاف المهديّ التي وردت في الأحاديث الثابتة منطبقة عليه ، فهو أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، إلى غير ذلك من الصفات .

ولعل فتنة تنزيل الأحاديث على أشخاص بأعيانهم ، بدأت في عصرنا هذا بوضوح من هذا التاريخ ، وهو غرة شهر الله المحرم سنة ١٤٠٠ هـ ، والله تعالى أعلم .

وحسبك بهذا الحدث فتنة توقف الأذان والصلاة في حرم الله أيامًا ، نسأل الله تعالى العافية والسلامة من كل شر وفتنة .

★ ★ ★

ثانيًا : أن الفتن التي تحدث في آخر الزمان وغيرها قَدَرٌ من قَدَر الله تعالى ؛ إذا صح بها النقل ، لا بد أن تحدث ولا يمكن أن يحول شيء دون حدوثها ، أو محاولة صرفها ، ولقد كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يعلم علم اليقين – قبل توعُّد المجرم الأثيم أبي لؤلؤة المجوسيّ بقتله – أن استشهاده قَدَر لا بد أن ينفذ ، وغيب أخبر عنه الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، لا يمكن أن يتخلّف ، فقد سمع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول عندما انتفض أحد ، وعليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم – كما في الحديث الذي أخرجه البخاريّ في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه – :

((اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ))(١٨) لذلك لم يأبه بما سمع من أبي لؤلؤة المجوسيّ

أخزاه الله وقد لقي خزيه في الدنيا ، وسيلقى خزيه يوم يقتص الجبار سبحانه وتعالى للمظلوم ممن ظلمه .

ولقد سمعت أحد الكتاب الإسلاميين المعاصرين ممن له أثر طيب يقول عن عمر الفاروق رضي الله عنه : ((لقد أخطأ عمر رضي الله عنه ؛ لأنه لم يتخذ له حرسًا يحرسونه بعد تهديد أبي لؤلؤة المجوسيّ له)) .

عجبت أشد العجب من هذا الكلام ، كيف يقال في حق من قال عنه المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم : ((إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِن كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ ؛ فإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب))[١٩] ومحدثون : ملهمون ، وهو الذي وافقه الوحي في جملة من المسائل المشهورة ، أُفْرِدَت فيها التصانيف ، وهو فاروق هذا الأمة الذي فرق الله به بين الحق والباطل[٢٠] ، وفيه قال المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم : ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّك))[٢١] .

ونحن أهل السنة لا ندعي العصمة لأحد إلا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولكن ليس من الأدب أن يقال هذا في حق أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وكما ترك عمر رضي الله عنه هذا الأمر لقدر الله المحتّم الذي لا يُردّ ، فعل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ذلك حينما حُوصِر ؛ فمَنع من أراد ان يحرسه بالانصراف وعدم التعرض لهؤلاء البغاة المجرمين ، بل سألهم بالله ألَّا يفعلوا ذلك ، وفتح باب بيته ونشر كتاب الله تعالى بين يديه ، وجلس يتلو آياته إلى أن دخل عليه أعداء الله خابوا وخسروا ؛ فقتلوه وهو صائم يقرأ القرآن ، وقد بلغ من العمر على القول المشهور ٨٢ سنة[٢٢] ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ .

لِـمَ فعل عثمان ذلك ؟ لأنه لا يريد أن يُقتل أحد بسببه ، ولأنه يعلم أنه سيُقتَل شهيدًا كما ورد في الحديث السابق عن أنس ،وسمع كذلك قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الآخر المتفق عليه والذي قال فيه لأبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه : ((ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُه))[٢٣] .

ولعل ما حملني على هذا الاستطراد نسبيًّا هو الخشية من تخطئة هذا الكاتب أو غيره لعثمان رضي الله عنه لِـمَ اتخذ هذا الإجراء الذي أدّى إلى مقتله ؛ ولِـمَ لم يتخذ له حرسًا يدافعون عنه ، مع علمي سلفًا أن كلامي هذا لا يحقق شيئًا ، ولكنه تعبير عن حاجة في نفسي أردت أن أبوح بها .

إننا اليوم بحاجة إلى ((دِرَّة عُمر[٢٤])) التي كان يخرج بها الشياطين الـمُعَشْعِشَة في رؤوس المُتَهوِّكين[٢٥] في دين الله تعالى ، وما أكثرهم اليوم ، ومن ذا الذي يجرؤ على تأديبهم ، مثل عمر؟! ويبدو أن دِرَّة عُمر رضي الله عنه اختفت معه ، وربما إلى يوم القيامة ، والعلم عند الله تعالى .

★ ★ ★

ثالثًا : يجب أن نعلم أن الفتن عامة وفتن آخر الزمان خاصة داخلة في الابتلاء الذي كتبه الله على هذه الأمة ليمحِّصها ، ويضاعف مثوبة الصادقين السالكين على طريق هدايته ، والصابرين على ما أصابهم قال الله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ سورة العنكبوت : (١-٢) .

وهذه الآية وإن نزلت في أناس بأعيانهم في العهد المكيّ إلا أن حكمها باقٍ في هذه الأمة إلى يوم القيامة كما قال الإمام ابن عطية في تفسيره : ((وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب أو ما في معناه من الأقوال فهي باقية في أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم ، موجودٌ حكمها بقية الدهر ، وذلك أنَّ الفتنةَ من الله تعالى باقية في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك ، وإذا اعتُبِرَ أيضًا كلُّ موضعٍ ففيه ذلك بالأمراض وأنواع المحن ، ولكن التي تشبه نازلةَ المؤمنين مع قريشٍ ؛ هي ما ذكرناه من أمر العدوِّ في كل ثغر[٢٦])) .

وقد نقل كلام ابن عطية هذا الإمام القرطبيّ في ((الجامع لأحكام القرآن[٢٧])) واستحسنه جدًّا .

والناظر بعين البصيرة يلحظ أن التشريع قائم على الابتلاء ومترتب عليه ، كما جاء في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾ سورة محمد : ٣١ .

قال الراغب الأصفهانيّ : ((وسُمِّي التكليف بلاء من أوجه :

– أحدها : أن التكاليف كلّها مشاقٌّ على الأبدان ، فصارت من هذا الوجه بلاء .

– والثاني : أنّها اختباراتٌ ، ولهذا قال الله عزّ وجل : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾ سورة محمد : ٣١ .

– والثالث : أن اختبار الله تعالى للعباد تارةً بالمسارّ ليشكروا ، وتارةً بالمضارّ ليصبروا ، فصارت المحنة والمنحة جميعًا بلاءً ؛ فالمحنة مقتضيةٌ للصبر ، والمنحة مقتضيةٌ للشكر .

والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المنحة أعظم البلاءين ، وبهذا النظر قال عمر – رضي الله عنه – ((بُـلِينَا بِالضَّرَّاءِ فَصَبَـرْنَـا وَبُـلِينَـا بِالسَّرَّاءِ فَلَمْ نَشْكُرْ))[٢٨] ولهـذا قال أمير المؤمنين[٢٩] : ((مَنْ وُسِّعَ عَلَيْـهِ فِي دُنْيَاهُ فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّـهُ قَـدْ مُكِرَ بِهِ فَهُوَ مَـخْـدُوعٌ عَنْ عَقْلِهِ))[٣٠] انتهى ما أردت نقله منه[٣١] .

إن تحقيق فضيلة الصبر لا يتمّ إلا بالابتلاء بأعظم البلايا ، كمـا قال الله تعـالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ البقرة : ١٥٥ .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : ((والبلاء يكون حسنًا ويكون سيِّئًا ، وأصله المحنة ، والمعنى : لنمتحِننَّـكم لنعلم المجاهدَ والصابرَ عِلْمَ مُعاينة ، حتى يقعَ عليه الجزاء ، كما تقدَّم .

وقيل : إنما ابْتُلُوا بهذا ليكون آيةً لمن بعدهم ، فيعلموا أنهم إنما صبروا على هذا حين وَضَح لهم الحقُّ .

وقيل : أعلَمَهم بهذا ليكونوا على يقين منه أنه يصيبُهم ، فيوطِّنُوا أنفسهم عليه ، فيكون أبعدَ لهم من الجزَع وفيه تعجيلُ ثَواب الله تعالى على العزم ، وتوطين النفس))[٣٢] .

وتأمل الآية التي بعدها ، لتعرف ما يترتب على هذا البلاء من ثـواب جزيل ، وأجرٍ مضاعف ، كـما قال الله تعالى : ﴿ أُولَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة : ١٥٧ .

وبهذا ندرك أن الفتن بأنواعها داخلة في الابتلاء ، ولله في ذلك حِكَم ظاهرة يدركها بعض عباده ، وخفيَّة لا يعلمها إلا هو جلّ جلاله .

★ ★ ★

رابعًا : مما يحسن بنا أن نعرفه أن للفتن تقسيمًا ثنائيًّا ، يتفرع عنه أقسام كثيرة .

وأول تقسيم ثنائيّ للفتن : أن منها ما وقع ، ومنها ما لم يقع بعد .

فمن الفتن التي وقعت وأخبر عنها المصطفى صلّى الله عليه وسلّم :

١) استشهاد الخلفاء الراشدين الثلاثة : عمر وعثمان وعليّ ، وكذلك طلحة والزبير رضي الله عنهم جميعًا .

فأما خبر استشهاد عمر وعثمان رضي الله عنهما فتقدم في حديثي أنس وأبي موسى رضي الله عنهما ، وهما في الصحيحين ، كما تقدم[٣٣] .

وأما خبر استشهاد عليّ وطلحة والزبير رضي الله عنهم فأخرجه مسلم في صحيحة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول صلّى الله عليه وسلّم كان على حراء هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وطلحة والزبير ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم ؛ فتحرَّكَت الصخرة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ((اهْدَأْ ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيد))[٣٤] .

فقوله صلّى الله عليه وسلّم : ((أَوْ شَهِيد)) وصف يتناول الجميع سوى أبى بكر رضي الله عنهم أجمعين .

٢) ظهور الخوارج ، وسيأتي خبرهم في الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه[٣٥] .

٣) استشهاد عمار بن ياسر[٣٦] رضي الله عنهما ، وغيرها كثير .

وأما القسم الثاني : وهو ما لم يقع فهو الأكثر كظهور يأجوج ومأجوج ، والدابة – وقد ثبت ظهورهما بنصّ القرآن الكريم – وظهور الدجال ، وكثرة القتل ، وانحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب ، تحصل به مقتلة عظيمة ، وغيرها من الفتن التي تموج كموج البحر ، كما جاء ذلك في حديث حذيفة رضي الله عنه وسيأتي بعد أسطر .

ولقد أخبرنا الهادي البشير صلوات الله وسلامه عليه عن تتابع الفتن في هذه الأمة ، حيث رأى مواقعها حينما أشرف على أُطُمٍ من آطام المدينة .

والخبر أخرجه الشيخان من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أشرف على أُطُمٍ من آطام المدينة ، ثم قال : ((هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَىٰ ؟ إِنِّي لَأَرَىٰ مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ))[٣٧] .

والأُطُم : هو البناء المرتفع .

* التقسيم الثُّنائيّ الثانيّ : ما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه المتفق عليه قَالَ: كُنَّا عِندَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا . قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ ، وَكَيْفَ قَالَ ؟ قَالَ قُلْتُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ : ((فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلاةُ وَالصَّدَقَةُ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ))

فَقَالَ عُمَرُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ ، قَالَ فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا ، قَالَ: أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ قُلْتُ : لَا ، بَلْ يُكْسَرُ ، قَالَ: إِذًا لَا يُغْلَقَ أَبَدًا.

قَالَ : فَقُلْنَا لِحُذَيْفَةَ : أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: نَعَمْ ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ .

قال : فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ مَنِ الْبَابُ ؟ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ : سَلْهُ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ: عُمَرُ.(٣٨)

فتبين من سياق الحديث أن الفتن قسمان :

القسم الأول : فتن خاصة بآحاد المسلمين ، عبَّر عنها المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم بقوله : ((فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ ...)) .

والقسم الثاني: فتن عامة تصطلي بها الأمة،وعبَّر عنها عمر رضي الله عنه بقوله:((تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ)).

* التقسيم الثُّنائيُّ الثالث : ورد في حديث آخر لحذيفة رضي الله عنه،وهو حديث أخرجه مسلم بهذا السياق :

قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ : وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: ((مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا ، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ)) قَالَ حُذَيْفَةُ : فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي .(٣٩)

هذا الحديث المخيف المفزع دل على أن الفتن قسمان : فتن شاملة عامة لا يكاد يسلم منها أحد ، وقد حصرها في ثلاث فتن كبرى ؛ لكنه لم يسمها ، ولم يكشف عن حقيقتها ، لمقاصد يراها الشارع الحكيم صلوات الله وسلامه عليه ، وربما كانت المذكورة في حديث عبدالله بن حوالة رضي الله عنه الآتي ، والله أعلم .

والقسم الثاني : فتن كرياح الصيف ، وشَبَّهَهَا برياح الصيف لحرارته ، وفي هذا التشبيه إشارة إلى شدة وقعها على المسلمين .

وجعل المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم هذا القسم قمسين : فتنًا كبارًا وفتَنًا صغارًا .

والفتن التي حصرها عليه الصلاة والسلام في ثلاث ، لعلها – كما ذكر بعض الشُّرَّاح – خروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، والله تعالى أعلم .[٤٠]

وربما كانت المذكورة في حديث عبدالله بن حوالة رضي الله عنه الآتي[٤١] ، وهي : موته صلَّى الله عليه وسلَّم وظهور الدجال ، واستشهاد عثمان رضي الله عنه ، والعلم عند الله تعالى .

وفي الأقسام الثنائية تدخل جميع أحاديث الفتن سواء ما تعلق منها بالعقائد والعبادات : كالبدع المحدثة أو الفتن المتعلقة بالمعاملات كالربا والتحايل في البيوع ، والتبايع بالعينة ، وغيرها ، وكذلك الفتن المتعلقة بالسياسة والحكم والولاة الظلمة ، والحكم بغير ما أنزل الله تعالى ، والفتن المتعلقة بالأخلاق والسلوك ، كنزع الأمانة ، والخيانة ، والكذب ، وتخوين الأمين ، وتأمين الخائن ، وغيرها ، والفتن المتعلقة بأشراط الساعة وغيرها مما يخطئه العَدّ .[٤٢]

وبين أحاديث الفتن وأحاديث أشراط الساعة تداخل كبير ، فكثير من الفتن الكبرى هي من أشراط الساعة ، كخروج الدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، وبعضها من أشراط الساعة الكبرى وليست من الفتن كنزول عيسى عليه السلام ، وكذلك بعض أشراط الساعة الصغرى ليست من الفتن كظهور المهديّ ، وقتال المسلمين اليهود وانتصارهم عليهم ، وعودة الجزيرة العربية مروجًا وأنهارًا .

* التقيسم الثُّنائيُّ الرابع : تقسيم الفتن إلى زمانيّ ومكانيّ .

فأما القسم المتعلق بالزمان فيدخل فيه كل الفتن التي وقعت بعد استشهاد عمر رضي لله عنه ، وصحّ بها النقل ، وهي مستمرة إلى يوم القيامة .

وأما القسم المتعلق بالمكان : فمنها الفتن المتعلقة بالشام وفلسطين وبيت المقدس ، وغيرها .



خامسًا : نشأة الفتن وأسبابها .

محاولات زرع الفتن بدأت من أول يوم هبط فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم على أرض المدينة

وكان المنافقون أشد الناس حرصًا على إثارتها ، وحادثة الإفك أشد فتنة اصطلى بها بيت النبوة ومجتمع الصحابة رضي الله عنهم ، ولكن هذه المحاولات من أعداء الملة قضى عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام في مهدها ، وتنزَّل الوحي بكشف عوارها ، وتحولت المحنة إلى منحة ، وباؤوا بالخزي والعار إلى يوم الدين .

وظهرت في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه فتنة المرتدين والمُتَنَبِّئَيْن الكذَّابَيْن : مسيلمة وسَجَاح ، فجيّش الجيوش للقضاء على هذه الفتنة ، وانتدب لذلك سيف الله المسلول ، فوأدها في مهدها وظهرت حنكة أبي بكر رضي الله عنه وسداد رأيه في إخماد هذه الفتنة ، لكن ولايته لم تطل[(٤٣)] ، فتولى بعده فاروق هذه الأمة عمر رضي الله عنه فكان السَّدَّ المنيع ضد الفتن ، والباب الموصد عليها ، والقفل المحكم الذي أرتج على شرورها ، فلما استُشْهِد فُتح باب الفتنة ، وبدأ أعداء الإسلام يخططون للنيل من دولة الخلافة التي شَرِقوا بها ، ثم تولَّى الخليفة الثالث عثمان ذو النورين رضي الله تعالى عنه ، واستتبَّ الوضع في الشطر الأول من خلافته ، واتسعت الفتوحات ، وبلغت الجيوش أقاصي الدنيا ، وعاشت الدولة في عزة ومنَعَة .

وفي الشطر الثاني من خلافته رضي الله عنه بدأت المؤامرات تحاك ضدَّه إلى أن انتهت باستشهاده في فاجعة لم ير المسلمون مثلها بعد موت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وألقت الفتن بجرانها في الأرض بعد استشهاده الأليم[(٤٤)] ، وهي مستمرة إلى يوم القيامة .

ولعلي أوجز أهم أسباب الفتن في الأسطر التالية :

١) استشهاد عمر رضي الله عنه ، فهو الباب الموصد ضد الفتنة ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة وأصحها حديث حذيفة المتفق عليه ، والذي تقدم قبل أسطر ، وفيه ((إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا)) .

ولقد كان هذا الأمر معروفًا عند الصحابة رضي الله عنهم وشائعًا بينهم ، فهذا رجل يقول لخالد بن الوليد رضي الله عنه : ((يَا أَبَا سُلَيْمَانَ اتَّقِ اللَّهَ ؛ فَإِنَّ الْفِتَنَ قَدْ ظَهَرَتْ)) فأجابه مستنكرًا : ((وَابْنُ الْخَطَّابِ حَيٌّ ؟! إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَه)) .

وهذا الحديث حسنه الحافظ في الفتح (١٦/ ٤٥١- ط : طيبة) وتوسع الشيخ مشهور آل سلمان في تخريجه في كتابه ((العراق في أحاديث وآثار الفتن)) (١/ ٣٥٨-٣٦١) .

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (٢١/ ١١٢-١١٣) برقم (٣٨٤٤٥) من طريق أبي وائل بإسناد صحيح عن حذيفة رضي الله عنه قال : ((مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يُرْسَلَ عَلَيْكُمُ الشَّرُّ فَرَاسِخَ إِلَّا مَوْتَةٌ فِي عُنُقِ رَجُلٍ يَمُوتُهَا ، وَهُوَ عُمَرُ)) .

ووصف أبو ذر رضي الله عنه عمر بـ ((قُفْل الْفِتْنَة)) وقال له عثمان بن مظعون ((يَا غَلَقَ الْفِتْنَة)) كما جاء في الفتح (٨/ ٢٦٥) في سياق كلام الحافظ ابن حجر في شرح حديث حذيفة قال : (روى الطبرانيّ بإسناد رجاله ثقات أنه لقي عمر فأخذه بيده فغمزه ، فقال له أبو ذر : ((أَرْسِلْ يَدِي يَا قُفْلَ الْفِتْنَة ...)) الحديث وفيه أن أبا ذر قال : ((لَا يُصِيبُكُمْ فِتْنَةٌ مَا دَامَ فِيكُمْ)) وأشار إلى عمر ، وروى البزار من حديث قدامة بن مظعون عن أخيه عثمان أنه قال لعمر : ((يَا غَلَقَ الْفِتْنَة)) فسأله عن ذلك فقال : مَرَرْتَ ونحن جلوس عند النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : ((هَذَا غَلْقُ الْفِتْنَةِ ، لَا يَزَالُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْفِتْنَةِ بَابٌ شَدِيدُ الْغَلْقِ مَا عَاشَ))) .

٢) ظهور الفرق الضالة ، وفي طليعتها السَّبَئِيَّة والخوارج والروافض .

فأما السَّبَئِيَّة : فهم المنسوبون لعبدالله بن سبأ اليهوديّ أخزاه الله تعالى وإياهم ، وهو من والاه وناصره كانوا السبب في مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه[٤٥] ، وفتنة مقتل عثمان واستشهاده أعظم فتنة حصلت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي من الفتن العمياء الصماء الجالبة للحيرة ، وما يقرأ مسلم عنها إلا ويصاب بالذهول ، ويتعجب كيف حصلت هذه الجريمة الكبرى والفتنة المطْبِقة في الصدر الأول ؟! ولكنه قدر الله النافذ ، وحكمه الذي لا رادّ له ؛ لِحكَم لا يعلمها إلا هو .

وقد جاء في حديث عبدالله بن حَوَالَة رضي الله عنه أن فتنة مقتل عثمان هي إحدى الفتن الثلاث التي تعد أكبر الفتن في تاريخ المسلمين إلى أن تظهر فتنة المسيح الدجال ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك .

وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده بالأرقام (١٦٩٧٣) و (١٧٠٠٣) و (١٧٠٠٦) بإسناد حسن من طريق ربيعة بن لقيط عن عبدالله بن حَوَالَة أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : ((مَن نَجَا مِنْ ثَلَاثٍ فَقَدْ نَجَا - ثلاث مرات - مَوْتِي ، والدَّجَّالُ ، وَقَتْلُ خَلِيفَةٍ مُصْطَبِرٍ بِالْحَقِّ مُعْطِيهِ)) .

ومن طريق أحمد : أخرجه ابن الأثير في ((أسد الغابة)) (٣/ ٢٢٠) .

وأخرجه ابن قانع في ((معجم الصحابة)) (٢/ ٨٩) من طريق يحي بن إسحاق عن ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب به ، وقال ابن لهيعة فيه : هو عثمان .

انظر التعليق عليه في هذه المواضع من طبعة مؤسسة الرسالة للمسند .

ولفظ ((مُصْطَبِر)) قرينة واضحة الدلالة أن هذا الخليفة هو عثمان رضي الله عنه .

وقد أخبر النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنه هو وأصحابه على الحق حين يبتلى بالفتنة .

ومن أصح الأحاديث في ذلك ما رواه أبو الأشعث قال قامت خُطباءُ بإيلياءَ في إمارة معاوية فتكلَّموا وكان آخرَ من تكلَّم مُرَّةُ بنُ كعبٍ ، فقال : لولا حديثٌ سمعته من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ما قمتُ (سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يذكر فِتنةً ، فقَرَّبَهَا ، فمَرَّ رَجلٌ مُتَقَنِّع ، فقال : ((هَذَا يَوْمَئِذٍ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى)) فقلت : هذا يا رسول الله ؟ وأقبلتُ بوجْهِه إليه ، فقال : ((هَذَا)) فإذا هو عثمانُ) .

أخرجه أحمد في مسنده برقم(١٨٠٦٨) والحاكم (٣/ ١٠٢) من طريق عفان عن وهيب بن خالد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث ، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبيّ .

وأخرجه الترمذيّ في جامعه برقم (٣٧٠٤) من طريق عبدالوهاب الثقفيّ عن أيوب به ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

أما ظهور الخوارج فهو من أعظم أسباب الفتن العاصفة في تاريخنا الإسلاميّ ، فهم الذين استحلوا الدماء وهم سبب الفرقة بين المسلمين ، وهم الذين قتلوا أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه ، قتله عدو الله : عبدالرحمن بن ملجم ، بعد أن هزمهم عليّ وقضى على شوكتهم ، وتحقق على يديه ما أخبر به النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال : ((بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قَسْمًا ، فقال ذو الخُوَيْصِرة ، رجلٌ من بني تميم : يا رسول الله اعدِل ، فقال : ((وَيْلَكَ مَن يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ)) فقال عمر : ائْذَنْ لِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَه ، قال : ((لَا ، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ

صَلَاتَـهُ مَعَ صَلَاتِـهِـمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِـهِـمْ ، يَمْرُقُـون مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْـمِ مِنَ الرَّمِيَّة – إلى أن قال – يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ، آيَـتُـهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ ›› قال أبـو سعيد : أشهدُ لَسَمِعْتُهُ من النَّبِيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأشهدُ أني كنتُ معَ عليٍّ حينَ قَاتَلَهُمْ فَالْتُمِسَ فِي الْقَتْلَى فَأُتِيَ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم) .[٤٦]

وقد أخبر صلَّى الله عليه وسلَّم عن هذا الرجل في روايات أخرى لهـذا الحديث في الصحيحين : ‹‹ أَنَّـهُ يَخْرُجُ مِن ضِئْضِئِه قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ... ›› الحديث .

وقوله عليه الصلاة والسلام : ‹‹ يخرج من ضِئْضِئِ هذا ›› أي من عقبه ونسله ؛ كما في النهاية لابن الجزريّ .[٤٧]

★ ★ ★

وأما الروافض فهم موصولون بعبدالله بن سَبَأ ، ولكنهم سمُّو بذلك لرفضهم إمامة الشيخين وإمامة زيد ابن علي رضي الله عنهم جميعـًا ، وبسبب تفرقهم عن زيد لإنكاره عليهم ، وابن سبأ هو جدهم الأعلى كم قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج وغيره من كتبه .

وهذه الفرقة هي أخطر الفرق ، فقد جرَّت على المسلمين أعظم الشرور ، وقامت لهم دول أصابت المسلمين في مقتل ، ولهم اليوم دولة ذات شر مستطير ، تحيك المؤامرات على الإسلام والمسلمين في الخفاء مع إسرائيل وإمريكا ، ومن أراد الحقيقة فليقرأ كتاب ‹‹ التحالف الغادر ›› لـ ‹‹ تريتا بارسي ›› وهو إيرانيّ الأصل ، ونشأ في السويد ، وتخصص في العلاقات الدولية ، ويقيم الآن في تكسس ، وكان مبعوثًا لإيران إلى إسرائيل وأمريكا .

وهذا الكتاب منشور في الشبكة العنكبوتية باللغة الانجليزية ، ومعه تلخيص باللغة العربية يفي بالغرض .

وفي الشبكة العنكبوتية صور للرئيس الإيرانيّ نجاد وهو يعقد لقاءات مع كبار حاخامات اليهود في أمريكا أصحاب اللحى الكثة القذرة التي لا تعرف الوضوء ولا السجود ، وله صور أخرى وهو يعانقهم بحرارة فلأي شيء تعقد هذه اللقاءات ، وما الذي جرى ويجري في أروقتها ؟!

تلك هي حقيقة دولة إيران الصفوية ، وهي في الظاهر ترفع شعار نصرة الإسلام وقضاياه الكبرى كقضية القدس وفلسطين ، ويخرج عمائم الضلالة من حين لآخر ينكرون عقائدهم الكفرية : كتحريف القرآن

الكريم ، وتكفير صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، واتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الطاهرة المبرأة من فوق سبع سمـٰـوات .

ومازال لفيف من المنتسبين للدعوة مخدوعين بهذه الدولة ومراجعها الدينية ، وتسمعهم يقولون : إن الشيعة الإمامية تركوا عقائدهم ، ولا وجود لها إلا في كتبهم ، وإذا نبَّهت بعضهم إلى خطر هذه الدولة انتفخت أوداجهم وتورمت أنوفهم ، وتسمع من ينبري للدفاع عنهم وعن دعاتهم من أصحاب عمائم الضلالة ونسي هؤلاء المخدوعون أن الرافضة يتعاملون مع أهل السنة بالتقيَّة ، والتقيَّة عندهم دين .

إلى هؤلاء المخدوعين أنقل كلام رجل ليس من مشايخ نجد ، ولا من أساتذة الجامعات السعودية المتخصصين في العقيدة ، وإنما هو كلام استاذ جامعيّ يدرِّس العلوم السياسية ، ولكنه عرفهم تمام المعرفة عن طريق مخالطتهم ومحاورتهم أشهرًا طويلة ، ورسالته لنيل درجة الدكتوراه كانت عن مخططاتهم وأطماعهم ، وأن التشيع عندهم ليس تديُّنًا حقيقيًّا ، وإنما هو برقع يخفون وراءه هدفهم الكبير ، وهو إقامة دولتهم الفارسية التي انهارت تحت مطارق الفتح الإسلاميّ في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه ، ودُكَّت صروحها بجحافل الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنس ترابها بسنابك خيلهم رضي الله عنهم .

هذا الرجل هو الأستاذ الدكتور عبدالله النفيسيّ الكويتيّ الذي ما فتئ يحذِّر في محاضراته وكتاباته من المد الرافضيّ الصفويّ الفارسيّ ، ولكن تحذيره صرخات في واد ، ونفخ في رماد .

وكلامه الذي سأنقله هنا ذكره مرات كما أسلفت .

قال جزاه الله خيرًا مع شي من التلخيص والحذف لبعض الكلام باللهجة العامية : ((كنت من القلائل الذين حرصوا على زيارة إيران على مدى زمن طويل بسبب تخصصي في موضوع الشيعة والتشيع ؛ لأن أطروحتي ((الدكتوراه)) كانت بعنوان ((الدور السياسيّ للشيعة في تطور العراق السياسيّ الحديث)) وهذا الموضوع ألزمني بالذهاب إلى العراق ، وأنهيت أطروحتي ، ثم أصبحت مهتمًّا بالشؤون الإيرانية ، وكنت أزور النادي الدبلوماسيّ في طهران سنويًّا ، وهو نادٍ مرتبط بوزارة الشؤون الخارجية ، وقد حاضرت في هذا النادي سنوات عديدة ، والتقيت في إيران بكل أطياف المسؤولين ، من المرشد خامئني الذي زرته في بيته ، وقعدت

معه ، وناقشته حول شؤون الخليج والتقيت برموزهم أمثال : ناطق نوري ، وخاتمي ، ورفسنجاني ، وروحاني ومهدي ، ولايتي ، وعباسي ، إلى جانب مجموعات هائلة من الأساتذة في جامعات إيران التي زرتها كلها وحاضرت فيها ، كل هؤلاء جلست معهم وناقشتهم ، وأستطيع أن أقول من خلال هذه التجربة : إنني أعرف إيران من الداخل ، وكل هؤلاء من مرشدهم إلى أصغر موظف في الخارجية ، إلى كبار الضباط في الجيش ، إلى الحرس الثوريّ إلى وزارة الاستخبارات ، وبعضهم كانوا يحضرون محاضراتي مثل عبدالله نوري وجماعته .

كل هؤلاء بدون استثناء تجمعهم مسألة واحدة ، وهي أن دول الخليج تابعة لإيران ، وأن هناك ثأرًا تأريخيًّا بيننا وبينكم أيها العرب ، فقد غزوتمونا بما تسمونه الفتح الإسلاميّ ، وقضيتم على حضارتنا الفارسية ، ونحن الآن سنَحَت لنا الفرصة للأخذ بهذا الثأر التاريخيّ .

إنهم يستخدمون التشيّع في إيران كـ ((حصان طروادة))(٤٨) وليس اعتقادًا منهم للتشيع ، فالتشيع عربيّ في الأصل ، وليس إيرانيًّا ، والذين نقلوا التشيع إلى إيران هم العرب ، ولذلك فإن إيران ترى أن الوسيلة الوحيدة لاختراق العرب هي التشيع ، وأن دولتهم دولة قومية فارسية – إلى أن قال – : إن التحدي الأساسيّ لدول مجلس التعاون هو إيران)) انتهى ما أردت نقله من هذه المحاضرة بتصرف يسير .

وأريد أن أعلق على جملة ((التشيع عربيّ في الأصل)) فأقول : إن نسبة التشيع إلى العرب – إن صح – حصل من أهل الضلال منهم ، والذي نعرفه أن التشيع مرتبط بابن سبأ اليهوديّ ، كما تقدم ، وهو ليس عربيّ المنشأ ، والله أعلم .

وذكر النفيسيّ في هذه المحاضرة جوابًا على أحد الأسئلة : أن الإيرانيين ليست لهم عداوة مع اليهود والدليل الواضح على ذلك أن الزائر لطهران يرى معابد اليهود في شارع منوشهري ، وفيه يبيعون التحف ، في حين أن أهل السنة يمنعون من بناء أي مسجد في طهران كبُر أو صغُر .

ومن أخطر ما سمعته من النفيسيّ : أن إيران استأجرت في إرتريا ثلاث جزر تقوم فيها بتدريب الحوثيِّين على السلاح ، وتجمع في هذه الجزر الأسلحة المتطورة ، وتسربها إلى مناطق الحوثيِّين بعد تدريبهم عليها .

فهل سيعي أهل السنة في الجزيرة العربية حكومات وشعوبًا هذا الخطر المحدق ، أم أننا سنظل في غفلاتنا

سادرين إلى أن يحل بنا الخطر ، نسأل الله تعالى ألّا يكون ذلك .

إن دولة الرافضة في إيران جادة في تنفيذ خطتها الخمسينية السرية التي وضعها آياتهم في إيران ، وهم الآن في المرحة العشرية الثانية .

ويحسن بأهل السنة أن يطَّلعوا على هذه الخطة الخمسينية الخطيرة ، وكيفية تنفيذ مراحلها .

وقد ترجمها إلى العربية عبدالرحيم البلوشيّ جزاه الله خيرًا ، وهي محفوظة في الشبكة العنكبوتية ، وسبق أن نشرتها مجلة البيان قبل سنوات .

وأقول للمخدوعين بدولة الرافضة الفارسية ، والذين يسمونها ((الجمهورية الإسلامية)) : استيقظوا يا من تصرون على البلاهة والغفلة .

وإن ما سبق ذكره - وهو غيض من فيض ، وقطرة من بحر - يذكِّرنا بما سطره عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه ، ولا سيما في ((منهاج السنة النبوية)) وسأورد أسطرًا من هذا الكتاب تجسد لنا حقيقة الروافض وشرورهم العظيمة على الإسلام والمسلمين ، قال في منهاج السنة : ((أصل كل فتنة وبَلِيَّة هم الشيعة ومن انضوى إليهم ، وكثير من السيوف التي سُلَّت في الإسلام إنما كانت من جهتهم ، وعُلِم أن أصلهم ومادتهم منافقون ، اختلقوا أكاذيب ، وابتدعوا آراء فاسدة ؛ ليفسدوا بها دين الإسلام ، ويستزلّوا بها من ليس مِن أُولي الأحلام ، فسعوا في قتل عثمان ، وهو أول الفتن ، ثم انزووا إلى عليٍّ ، لا حبًّا فيه ، ولا في أهل البيت ، لكن ليقيموا سوق الفتنة بين المسلمين .

ثم هؤلاء الذين سعوا معه منهم من كفَّره بعد ذلك وقاتله ، كما فعلت الخوارج ، وسيفهم أول سيف سُلَّ على الجماعة ، ومنهم من أظهر الطعن على الخلفاء الثلاثة ، كما فعلت الرافضة ، وبهم تستَّرت الزنادقة كالغالية من النُصيرية وغيرهم ، ومن القرامطة الباطنية والإسماعيلية وغيرهم ، فهم منشأ كل فتنة ، والصحابة رضي الله عنهم منشأ كل علم وصلاح ، وهدى ورحمة في الإسلام .

ولهذا تجد الشيعة ينتصرون لأعداء الإسلام المرتدين ، كبني حنيفة أتباع مُسَيْلمة الكذَّاب ، ويقولون : إنهم كانوا مظلومين - إلى أن قال - وينتصرون لأبي لؤلؤة الكافر المجوسيّ ، ومنهم من يقول : اللهم ارض

عن أبي لؤلؤة واحشرني معه ، ومنهم من يقول في بعض ما يفعله من محاربتهم : واثارات أبي لؤلؤة : كما يفعلونه في الصورة التي يقدِّرون فيها صورة عمر من الجبس أو غيره .

وأبو لؤلؤة كافر باتفاق أهل الإسلام ، كان مجوسيًّا من عُبَّاد النيران ، وكان مملوكًا للمغيرة بن شعبة ...))[٤٩] الخ كلامه رحمه الله تعالى .

وسمعنا بعض ضلال الرافضة اليوم يقول عن بوش الابن : ((آية الله بوش ، اللهم احشرني مع آية الله بوش)) ونحن نقول مع النفس العميق : آمين آمين ، وإلى عذاب الحريق .

ويقول الإمام ابن تيمية في موضع آخر :

((وأما الرافضيّ فلا يعاشر أحدًا إلا استعمل معه النفاق ، فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد ، يحمله على الكذب والخيانة ، وغش الناس ، وإرادة السوء بهم ، فهو لا يألوهم خَبَالا ، ولا يترك شرًّا يقدر عليه إلا فعله بهم ، وهو ممقوت عند من لا يعرفه ، وإن لم يعرف أنه رافضيّ تظهر على وجهه سيما النفاق وفي لحن القول ولهذا تجده ينافق ضعفاء الناس ومن لا حاجة به إليه ، لما في قلبه من النفاق الذي يضعف قلبه))[٥٠] .

وقال في موضع آخر مشابه :

((وهكذا غير الرافضة من أهل الأهواء والبدع ، تجدهم في نوع من الضلال ونوع من الغيّ ، فيهم شرك وكبر ، ولكن الرافضة أبلغ من غيرهم في ذلك ؛ لهذا تجدهم أعظم الطوائف تعطيلاً لبيوت الله ومساجده من الجمع والجماعات ، التي هي أحب الاجتماعات إلى الله ، وهم أيضا لا يجاهدون الكفار أعداء الدِّين ، بل كثيرًا ما يوالونهم ويستعينون بهم على عداوة المسلمين ، فهم يعادون أولياء الله المؤمنين ، ويوالون أعداءه المشركين وأهل الكتاب ، كما يعادون أفضل الخلق من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ويوالون أكفر الخلق من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم من الملاحدة ، وإن كانوا يقولون : هم كفار ، فقلوبهم وأبدانهم إليهم أميل منها إلى المهاجرين والأنصار والتابعين وجماهير المسلمين .

وما من أحد من أهل الأهواء والبدع ، حتى المنتسبين إلى العلم والكلام والفقه والحديث والتصوف إلا وفيه شعبة من ذلك ، كما يوجد أيضًا شعبة من ذلك في أهل الأهواء من أتباع الملوك والوزراء والكتَّاب

والتجّار ، لكن الرافضة أبلغ في الضلال والغيّ من جميع طوائف أهل البدع)) .[٥١]

بعد هذا الاستطراد عن خطر الروافض الذي يحاك للمسلمين ، أظن أن هذا الخطر بدأ يتكشف بعد أن فضحتهم قناتا وصال وصفا ، جزئ الله القائمين عليهما خير الجزاء ، ووفقهم إلى الاستمرار في هذا المضمار المهم جدًّا .

وإني وكل من يدرك خطر هذه الدولة الرافضية الصفوية الفارسية نأمل من القادة في المملكة ودول الخليج العربيّ أن يزيدوا من استعدادهم لردع هذا الدولة ، ونرجوا الله أن يوفقهم لحماية ديار أهل السنة من كيدها ولعل التحرك الذي حصل آخيرًا لنصرة البحرين وحمايتها بداية تبشر باستعداد أفضل لدول مجلس التعاون من أجل حمايتها من شرور إيران .

إن هذه الدولة تتهدد وتتوعد دول الخليج ، ويقول قادتها : إنهم لن يبقوا مكتوفي الأيدي ، والأمر كما قال الشاعر قديمًا يحذر آخر خلفاء بني أمية : مروان بن محمد :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ وَيُوشِكَ أَن يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذْكَى وَأَنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَامُ

أسأل الله تعالى أن يرينا في دولة إيران المتآمرة عجائب قدرته ، ويكفينا ويكفي المسلمين شرورها .

وهناك فِرَق غير هذه الثلاث التي سبق ذكرها أسهَمَت في محاولة فرقة الأمة وتمزيق وحدتها ، كالجهمية والمعتزلة ، والقدرية ، والجبرية ، وغيرها ، ولكن معظم ما أحاق بالإسلام والمسلمين في أحقاب التاريخ الإسلامي كله هو من السبئية ووليدتها الرافضة ثم الخوارج بطوائفها المختلفة .

٣) فقد العلم وحملته ، وانتشار الجهل .

إن من أبرز أسباب ظهور الفتن ، وتفاقم شرورها فشو الجهل وقلة العلم والفقه في الدين واضمحلالهما .

وقد أخبر المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم بذلك ، وكلما بعدت الأمة عن منابع الوحيين زمنًا وواقعًا اشتد أوار الفتن .

ومن الأحاديث الدالة على هذا الواقع ما ورد في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود وأبي موسى

الأشعريّ رضي الله عنهما أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : ((إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا ، يَنزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ))[٥٢] والهرج القتل .

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال : ((يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ ، وَيَنقُصُ الْعَمَلُ ، وَيُلْقَى الشُّحُّ ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ))[٥٣] .

ومن الدلائل على فقه الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى ودقة فقهه أنه أورد هذين الحديثين في كتاب الفتن من صحيحه ، تحت عنوان ((باب ظهور الفتن))[٥٤] .

وإذا تأملنا أحوال رجال هذه الفرق ، نجد الجهل قاسمًا مشتركًا بينهم .

★ ★ ★

٤) تحكيم أهواء النفوس واتباعها :

اتباع الهوى وتحكيمه في الأمور من أوسع الأبواب المفضية إلى الفتن ، وما ضل أصحاب المذاهب المنحرفة إلا باتباعهم لأهوائهم ، ولهذا سماهم السلف ((أهل الأهواء)) .

قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى : ((إن جميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله ، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه ، وكذلك البدع تنشأُ من تقديم الهوى على الشرعِ ولهذا يُسمَّى أهلها أَهْلَ الْأَهْوَاءِ))[٥٥] .

وقال آخر : ((الهوى مطيّة الفتنة ، والدنيا دار المحنة ، فانزل عن الهوى تسلم ، وأعرض عن الدنيا تغنم))[٥٦]

ولهذا جعل الله من اتبع هواه أضل الخلق ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ القصص : ٥٠ .

والهوى من المهلكات ، وأنه يتجارى بأصحابه كما يتجارى الكَلَب[٥٧] بصاحبه كما جاء في بعض الأحاديث .

وصدق الشاعر إذ يقول :

إِذَا مَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَقْتَادُهُ الْهَوَى ... فَقَدْ ثَكِلَتْهُ عِندَ ذَاكَ ثَوَاكِلُهُ[٥٨]

وقال آخر :

إِنَّ الْهَوَانَ هُوَ الْهَوَى قُلِبَ اسْمُهُ ... فَإِذَا هَوِيتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانَا[٥٩]

٥) الظلم الصادر من الرعاة والرعية ، والظلم من طبائع النفوس لحِكَم يعلمها الله تعالى ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ الأحزاب : ٧٢ .

ويقول الشاعر الحكيم :

وَالظُّلْمُ مِن شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِن تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ[٦٠]

والأصل أن يتصابر الرعاة والرعية فيما بينهم .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٧٩-١٨٠) يتعلق بالرعاة والرعية ، ومما جاء فيه : ((ونُهوا - أي الرعية - عن قتالهم - أي الولاة - ما صَلَّوا ، وذلك لأن معهم أصل الدين المقصود وهو توحيد الله وعبادته - إلى أن قال - : ((وأما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ ، فلا يجوز أن يُزال لما فيه من ظلم وجور ، كما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشر بما هو شر منه ، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه ؛ فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم ...)) .

لكنْ إذا كان الحاكم مُصِرًّا على محاربة الدين والشعائر ، ويعلن الكفر البواح ، ويمارس القتل الجماعيّ ويضيّق على الناس في أرزاقهم ، كما يفعل حاكم ليبيا ومن على شاكلته ، فلا مناص من انفجار الفتن الهوجاء المفضية إلى القتل والتشريد ؛ لأن الرعية تخرج عن طور الصبر ، ولا يستطيع أحد أن يكبح جماحها .

أسأل الله تعالى أن يحرر البلاد والعباد من أمثال هذا الحاكم ، وأن يصلح أحوال المسلمين رعاة ورعية .

وهناك أسباب أخرى للفتن كضعف الاستقامة ، ومخالفة شرع الله تعالى ، والتنافس على السلطان والمناصب والدنيا والمال ، وكيد أصحاب الملل الكافرة كاليهود والنصارى وغيرهم ، وكذلك التعصبات الجاهلية .[٦١]

★ ★ ★

❊ أَحَادِيثُ الْفِتَنِ بَيْنَ التَّأَثُّرِ والتَّأْثِيْرِ

أحاديث فتن آخر الزمان الثابتة إخبار عن غيب لا يعلم حدوثه إلا الله تعالى ، وقَدَر نافذ لا بد أن يتحقق وقوعه كما تقدم .

وحتى نكون مؤثرين في واقعها إيجابًا لا متأثرين بها سلبًا ؛ ينبغي على طلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى أن يعرفوا أحاديث الفتن من حيث الثبوت وعدمه ، وما يترتب على ثبوتها من فقه بأحداثها .

أما معرفة الثابت منها من غير الثابت ، فهذا يتطلب جهدًا جماعيًّا ، وحبذا لو قامت جهة علمية مموّلة بالاتصال بالمشتغلين بعلم الحديث ومعرفة علله ، وهيأت عددًا منهم للقيام بموسوعة جامعة لما ثبت من أحاديث الفتن صِحّةً وحسنًا ، وتجمع الأحاديث الموضوعة والضعيفة في موسوعة أخرى ، مع التمييز بينها وبين أشراط الساعة ؛ فليس كل علامة من علامات الساعة من الفتن ، فنزول عيسى عليه السلام وظهور المهديّ من أشراط الساعة فقط ، وظهور المسيح الدجال من أشراط الساعة ، وهو أعظم فتنة في تاريخ البشرية أعاذنا الله من شره وفتنته .

وبعد إعداد الموسوعتين ، لا بد من شرح الموسوعة المشتملة على الأحاديث الثابتة ، ويحسن أن يُنتَدب لذلك عدد من أهل العلم في علوم العقيدة والتفسير والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، وعلوم العربية لتكون هذه الأعمال الموسوعية مرجعًا لطلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى .

وإن إفراد موسوعة عن الأحاديث الموضوعة والواهية المتعلّقة بأشراط الساعة أمر مهم جدًّا ؛ لأن هذه الأحاديث أضحت موردًا لضعاف النفوس يبنون عليها أحكامًا عجيبة .

ولا بد من تحقيق الكتب التي يغلب على أحاديثها الوضع والنكارة ، مثل ((كتاب الفتن)) لنعيم بن حماد وهو كتاب صار مرجعًا ينهل منه الدجالون ، وأن يتولى المشتغلون بعلم الحديث الرد على هؤلاء في جميع وسائل الإعلام .

وقد ظهرت في عام ١٤٢٨هـ موسوعة مهمة ، أُطلِق عليها : ((موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة)) .

وكُتِب تحت هذا العنوان : ((موسوعة تصنيفيَّة منهجيَّة لأحاديث الكتب الستة ، ومسند الإمام أحمد ورواتها من كتب السنة)) .

قام بجمعها ، وتصنيفها ، وتخريجها ، والحكم عليها ، والتعليق عليها الشيخان الدكتوران : همام عبدالرحيم سعيد ، ومحمد همام عبد الرحيم ، وصدرت طبعتها الأولى في شهر رمضان عام ١٤٢٨هـ ، عن دار جهاد الأستاذ للنشر بالرياض ، ومركز دراسات السنة النبوية في عمان – الأردن .

وهذه الموسوعة تُعدّ إنجازًا مهمًا يفيد الباحثين ؛ حيث اشتملت على (٢٠٦٠) حديثًا وأثرًا .

لكن الذي أعنيه أن أحاديث الفتن وأشراط الساعة تحتاج إلى تتبع مُستقْصٍ لجميع كتب السنة المطبوعة والمخطوطة ، بدءًا بكتب العقائد المسندة ، وكتب الحديث الجامعة ، وانتهاء بالأجزاء الحديثية الصغيرة .

وهناك رسائل وبحوث علمية في الفتن وما يتعلق بها من روايات وأحكام مهمة كثيرة النفع ، أحَلتُ على طائفة منها في هوامش هذا المقال .

ولقد دلت بعض الأحاديث الثابتة على أهمية تعلم أحاديث الفتن ؛ ليكون المسلم حذرًا من الوقوع في تبعاتها ، أشهرها حديث حذيفة رضي الله عنه : ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنتُ أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ...))[٦٢] وهو حديث متفق عليه .

إن معرفة الثابت من أحاديث الفتن وأشراط الساعة ، ومعرفة فقهها يزيد المسلم إيمانًا وثباتًا على دينه ويزيده كذلك يقينًا أن ما ثبت منها ولم تقع أحداثها ستقع لا محالة كما وقعت الأحداث التي أخبر عنها المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم ، وسبق ذكر بعضها ، ولا ريب أن هذا كله من أعظم الدلائل على صدق رسالة هذا النبيّ الخاتم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وجزاه عنا وعن المسلمين جميعًا خير ما يجزي نبيًّا عن أمته .

وإذا كان للفتن آثارها السيئة التي لا يجادل فيها مسلم عاقل ؛ فإن من حكمة الله تعالى أن جعل لها آثارًا حسنة وإيجابية ، أُجْمِل بعضها في الفقرات الآتية إجمالًا شديدًا ؛ لأن كل فقرة منها يُستَدل عليها بطائفة من الآيات والأحاديث الثابتة وأقوال أهل العلم .[٦٣]

من هذه الآثار الحسنة :

١) أن الفتن اختبار شديد لإيمان العبد وسلامة منهجه الذي يسير عليه في حياته ، فإذا أصابته فتنة رجع إلى ربه ، وتعهد نفسه ، ونظر في مصيره ، وتذكر أن بعد الموت فتنًا أعظم لا بد من الاستعداد لها .

٢) لجوء المسلمين إلى ربهم وتقربهم إليه بكثرة العبادة ؛ فإن لزوم العبادة في أيام الفتن وكثرة القتل من أسباب النجاة منها ، لما جاء في صحيح مسلم عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيّ))[٦٤] .

ولفظه عند أحمد ((الْعِبَادَةُ فِي الْفِتْنَةِ كَالْـهِـجْـرَةِ إِلَـيّ)) [٦٥] .

وتقدم أن الْـهَـرْج هو القتل ، كما فسره النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

وهناك أحاديث آخرى ثابتة في فضل المبادرة بالأعمال الصالحة زمن الفتن وعند اقتراب الساعة .

٣) أن المؤمن يفزع إلى ربه أيام الفتن لينجيه منها ، ويهديه إلى طريق الحق في التعامل مع الناس عند احتدامها ، ويُلحّ على ربه في كشفها وزوال غمتها ، ويكثر كذلك من الاستعاذة من شرها .

٤) التحلي بالتقوى والورع والثبات على الدين والصبر على التمسك به مع لزوم الإ نصاف ، وإشغال النفس بكل طاعة يقدر على فعلها .

ولكل مسلم في زمن الفتن أسوة حسنة بالخليفة الصابر الراشد عثمان رضي الله عنه ، فحينما حاصره أعداء الله ، وعلم أنه سيقتل لا محالة – وهو يعلم ذلك من قبل ؛ لإخبار رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إياه بذلك – نشر مصحفه بين يديه ، وكان ذلك اليوم صائمًا ، واستُشْهد وهو على هذه الحال ، ألا لعنة الله على قاتليه .

٥) الانشغال بالعلم النافع ، والرجوع إلى أهل العلم والفضل ، ولزوم مجالسهم والتشاور معهم ، وعدم القطع في أمر من الأمور المهمة دونهم .

٦) تدريب المسلم نفسه على التثبت من كل قول يسمعه ؛ لأن الأراجيف والشائعات في أيام الفتن تبيض وتفرِّخ ، وتعويد نفسه كذلك على الحلم والأناة ، ولزوم الصمت والكف عن الخوض إلا في أمر بمعروف أو نهي عن منكر .

٧) الحرص على رعاية الأهل ورقابتهم حتى لا ينزلقوا في متاهات الفتن ، وتعويد نفسه على الحذر من السعي فيها .

وهذه الأمور من لوزم المسلم في حياته ما دام حيًّا ، لكنها في أزمنة الفتن ألزم ، والحاجة إليها أشد .

٨) لو لم يكن من آثار الفتن الإيجابية إلا الاهتداء بما أرشدنا إليه النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم عند هبوب رياحها العاتية لكفى ، ومن ذلك : أن نحرص على البعد عن مواطنها ، ومقاطعة أهلها ، والبحث عن أسباب

النجاة منها ولو بلزوم البيوت ، أو الفرار إلى الجبال والأودية ، والأحاديث على ما سبق ذكره كثيرة جدًا .

وحسبنا ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَن وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ))[٦٦] .

وفي الحديث المتفق عليه عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال في آخر سياقه : (فَمَا تَأْمُرُنِي إِن أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : ((تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)) قلتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَام ؟ قَالَ : ((فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))[٦٧] .

واحرص أخي المسلم أن تكون من الطائفة الناجية المنصورة التي قال عنها المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم : ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِي أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ))[٦٨] .

وبعد : فإن هذا الموضوع واسع متشعّب ، ولقد شعرت بعد كتابة أهم عناصره ، والشروع فيه أنني أشبه بمن يسير في صحراء التيه ، ولكني حاولت التسديد والمقاربة ما أمكنني ، وركّزت على أمور أشعر أننا في حاجة إلى الحديث عنها ، ولعل في ما دونته ما ينفعني وينفع إخواني بإذن الله تعالى ، والله من وراء القصد .

وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه ، وعلى آله وصحبه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .



* الهوامش :

(١) حديث الوعاءين هو الحديث الذي أخرجه البخاريّ في صحيحه برقم (١٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وِعَاءَيْن : فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُوم)) .

قال الحافظ في الفتح (١/ ٣٧٧– ط: طيبة) : ((قوله (وعاءين) : أي ظرفين أطلق المحل وأراد به الحال ؛ أي : نوعين من العلم)) إلى أن قال :

((البلعوم مجرى الطعام وهو بضم الموحدة ، وكنَّى بذلك عن القتل ، وفي رواية الإسماعيلي ((لَقُطِعَ هَذَا)) يعني رأسه ، وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكنِّي عن بعضه ولا يصرح به خوفًا على نفسه منهم ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان ، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية ، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة)) .

(٢) و (٣) النقير : النقرة التي في ظهر نواة التمرة ، والقطمير : القشرة الرقيقة التي على النواة .

راجع ((مختار الصحاح)) : ص (٦٧٥ – ن ق ر) و ((تاج العروس)) (١٣/ ٢٤٩ – قطمر) .

(٤) سيأتي خبر استشهاد الخلفاء الراشدين الثلاثة في صفحات (٦) و (٧) و (٩) .

(٥) في عدة مواضع من صحيحه ، أولها في كتاب الصلح برقم (٢٧٠٤) .

(٦) برقم (٢٥٤٥) واقرأ تمام الحديث ففيه عبرة لكل معتبر ، ولتعرف عظم سوء أدب الحجاج مع صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

(٧) راجع ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير : ص (٩٦– بور) .

(٨) انظر ((تهذيب التهذيب)) لابن حجر (١/ ٣٦٣) ، والقتل صبرًا : أن تُغلّ يدا الشخص إلى الخلف ، وتقطع عنقه .

(٩) في كتاب الفتن ، برقم (٢٨٨٨) (١٨) وهو عند البخاريّ ضمن سياق أتم برقم (٧٠٦١) .

(١٠) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢٣٩٧) من طريق أبي أسماء الرحبيّ عن ثوبان مولى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ورضي الله عنه .

وأخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٢٩٧) من طريق أبي عبدالسلام عن ثوبان وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد برقم (٨٧١٣) .

وانظر تخريجه مستوفى في المسند في الموضع الذي ورد فيه حديث ثوبان .

(١١) في كتاب الفتن برقم (٢٩٠٨) .

(١٢) أوردها ابن ناقيا البغداديّ في ((الجمان في تشبيهات القرآن)) ص (٣٤٠) ط : دار الفكر .

(١٣) الدَّبُور : هي الريح التي تقابل الصَّبا ، والدَّبُور ، ريح أهلك بها قوم عاد ، كما جاء في الحديث .

راجع ((النهاية)) ص (٢٩٦ – دبر) .

(١٤) الأرض البُور : ما فسد منها ، فلم يعمر بالزرع والغرس ، كما في ((تاج العروس)) (١٠/ ١٣٤ – بور) .

(١٥) رِيرًا : بكسر الراء ، وورد بالفتح : الذائب من المخ ، الفاسد من الهزال ، ويقال له : الرَّار .

راجع ((تاج العروس)) (١١/ ٢١٠ – رير) .

(١٦) مقدمة ابن خلدون (١/ ٢٩١) بتعليق علي عبدالواحد وافي .

(١٧) راجع هذه الخزعبلات والسفاهات في كتاب سماه مؤلفه ((أسرار الساعة وهجوم الغرب)) ص (١٤١) وما بعدها ، وانظر كتاب

((العراق في أحاديث وآثار الفتن)) (٢/ ٥٦٥ – ٦٦٨) .

(١٨) في كتاب فضائل أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم برقم (٣٦٧٥) وبرقم (٣٦٨٦) وبرقم (٣٦٩٧) وفي الرواية الثالثة قال : ((اسْكُنْ أُحُدُ)) بدل ((اثْبُتْ ...)) .

(١٩) أخرجه البخاريّ في صحيحه برقم (٣٤٦٩) من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ وبنحوه برقم (٣٦٨٩) .

وأخرجه مسلم برقم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢٠) انظر الآثار الواردة في ذلك في كتاب ((محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)) للإمام يوسف بن عبدالهادي ، المعروف بـ ((ابن المبرد)) (١/ ١٧٣–١٧٦) .

(٢١) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : أخرجه البخاريّ برقم (٣٢٩٤) وفي موضعين آخرين ، وأخرجه مسلم برقم (٢٣٩٦) .

(٢٢) انظر ((تاريخ خليفة بن خياط)) ص (١٧٤–١٧٦) و ((كتاب فضائل الصحابة)) للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٤٧١–٤٧٥) .

(٢٣) أخرجه البخاريّ في مواضع عدة ، أولها كتاب فضائل أصحاب النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم برقم (٣٦٧٤) ومسلم برقم (٢٤٠٣) (٢٨ ، ٢٩) .

(٢٤) دِرَّة عمر رضي الله عنه : ((بكسر الدال ، مشهور شهرة كبيرة ، قال الإمام الشعبيّ رحمه الله تعالى : ((كانت دِرَّة عمر أهيب من سيف الحجاج)) .

انظر ((ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)) لأبي منصور الثعالبيّ : ص (٨٥–٨٦) .

(٢٥) المُتَهَوِّكُون : هم المتحيرون ، والتهوك : هو التحيّر .

راجع ((مختار الصحاح)) ص (٧٠٢ – هـ و ك) .

(٢٦) انظر ((المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)) (١١/ ٣٥٤ – في أول تفسير سورة العنكبوت) .

(٢٧) في أول تفسير العنكبوت (١٦/ ٣٣٤) .

(٢٨) و (٣٠) و (٣١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ص (١٤٥ – ١٤٦) .

والأثران عن عمر رضي الله عنه ، أولهما : في ((كتاب الزهد)) للإمام ابن المبارك ص (١٨٢) والآخر في ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشريّ (١/ ٤٥) .

(٢٩) هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٦٢) .

(٣٣) انظر ص (٦) و (٧) من هذا المقال .

(٣٤) في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم برقم (٢٤١٧) .

(٣٥) صفحة (١٥) و (١٦) من هذا المقال .

(٣٦) أخرجه البخاريّ في موضعين من صحيحه برقم (٤٤٧) و (٢٨١٢) من حديث أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه ، ولفظه في الموضع الأول : ((وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ)) .

(٣٧) أخرجه البخاريّ في موضعين : في كتاب فضائل المدينة برقم (١٨٧٨) وفي كتاب المناقب برقم (٣٥٩٧) ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم (٢٨٨٥) .

(٣٨) أخرجه البخاريّ في عدة مواضع ، أولها في كتاب مواقيت الصلاة برقم (٥٢٥) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٤٤) وفي كتاب الفتن برقم (١٢٦) (١٤٤) .

(٣٩) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم (٢٨٩١) .

(٤٠) انظر شرح صحيح مسلم لمحمد أمين الهرريّ (٢٦/ ١٠١) .

(٤١) حديث عبدالله بن حواله سيأتي تخريجه في هذا المقال في الصفحة (١٤) وهو حديث حسن .

(٤٢) أفدت في الكثير من هذه التقسيمات من « موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة » لهَـمَّام عبدالرحيم سعيد ، ومحمد هَمَّام عبدالرحيم وسيأتي الكلام عنها في آخر المقال .

(٤٣) و (٤٤) انظر أحداث هذه الحقبة من التاريخ في « تاريخ خليفة بن خياط » ص (١٠٢-١٧٧) .

(٤٥) انظر حقيقة ابن سبأ وأتباعه في كتاب « فتنة مقتل عثمان بن عفان ، رضي الله عنه » لمحمد الغبّان (١/ ١١٥-١٢٥) ولسليمان العودة رسالة قيمة في إثبات حقيقة السبئيّة بعنوان « عبدالله بن سبأ ودوره في إشعال الفتنة » وانظر ترجمة هذا المجرم في « لسان الميزان » (٢/ ٤٨٣-٤٨٥) .

(٤٦) أخرجه البخاريّ بهذا السياق في كتاب الأدب برقم (٦١٦٣) وسبق إخراجه له في كتاب الأنبياء برقم (٣٣٤٤) وفي هذا الموضع زيادة بلفظ « يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا ... » .

(٤٧) ص (٥٢٨ - ضأضأ) .

(٤٨) حصان طروادة : طروادة مدينة تقع الآن في تركيا ، والحصان الذي أضيف إليها أسطورة خلاصتها : أن رجلاً اسمه « باريس » وقع في علاقة غرامية مع امرأة بارعة الجمال اسمها « هيلين » وهي زوجة الملك « منيلاوس » ملك اسبرطة ، فقام باريس باختطاف هيلين إلى طروادة فغضب ملك اسبرطة وقام بحصار طروادة عشر سنوات فلم يستطع استرداد زوجته هيلين ، فأمر بصنع حصان خشبيّ ، وأدخل فيه عددًا من الجنود ، ثم أُدخل هذا الحصان إلى مدينة طروادة على أنه هدية لأهلها ، وخرج الجنود من هذا الحصان الخشبيّ ، وارتكبوا مذبحة قتل فيها باريس ، وعادت هيلين إلى منيلاوس .

ويضرب به المثل على إظهار شيء حسن من أجل الوصول إلى تحقيق شيء آخر لا صلة له بهذا الشي الظاهر ، فدولة الرافضة في إيران جعلت التشيع وسيلة إلى قيام دولتها الفارسية التي تَعُد العدة لقيامها ، لا حقق الله مقصدها .

عن « الموسوعة العربية العالمية » بإيجاز (١٥/ ٥٩٢-٥٩٥) .

(٤٩) و (٥٠) « منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية » (٦/ ٣٧٠-٣٧١) و (٦/ ٤٢٥) .

(٥١) المصدر نفسه (٧/ ٢١١) .

(٥٢) أخرجه البخاريّ في كتاب الفتن برقم (٧٠٦٢) و (٧٠٦٣) ومسلم في كتاب العلم برقم (١٥٧) (١١) .

(٥٣) أخرجه البخاريّ في كتاب الفتن برقم (٧٠٦١) ومسلم في كتاب العلم برقم (١٥٧) (١٢) .

(٥٤) انظر صحيحه مع الفتح (١٦/ ٤٤٩ - ط : دار طيبة) و ط : دار ابن حزم ص (٥٨٩) وغيرها من الطبعات .

(٥٥) جامع العلوم والحكم : ص (٣٦٦) .

(٥٦) أداب الدنيا والدين ، للماورديّ : ص (٤١) .

(٥٧) الكَلَب : بفتح الكاف واللام ، داء يعرض للإنسان من عضة الكلب الكَلِب ؛ فيصيبه شبه الجنون ، فلا يعضّ أحدًا إلا كُلِب وتَعْرِضُ له أعراض رديئة ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً .

انظر ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) ص (٧٩٨-٧٩٩-كلب) .

وفي زمن تقدم الطب الحديث يمكن علاجه بسهولة .

(٥٨) و (٥٩) انظرهما في أداب الدنيا والدين ، للماورديّ : ص (٣٤) و (٣٥) .

(٦٠) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي ، انظر ديوانه مع شرحه المسمى بـ ((التبيان في شرح الديوان)) للعكبريّ (٤/ ١٢٥) .

(٦١) انظر ((فقه الفتن ...)) وهي رسالة علمية نافعة ، لـ ((عبدالواحد الإدريسيّ ، ط : مكتبة دار المنهاج)) ص (٤٠٧) وما بعدها و ((أحداث وأحاديث فتنة الهرج)) وهي رسالة علمية نافعة ، لـ ((عبدالعزيز دخان)) ص (٣٦٥) وما بعدها .

(٦٢) أخرجه البخاريّ في كتاب الفتن برقم (٧٠٨٤) ومسلم في كتاب الإمارة برقم (١٨٤٧) .

(٦٣) للاستزاده : انظر ((موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة)) : ص (٨٨٣-٩٩٩) و ((فقه الفتن ...)) ص (٥٨٢ - ٦٠٨) .

(٦٤) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم (٢٩٤٨) .

(٦٥) في مسند أحمد برقم (٢٠٣١١) .

(٦٦) هذا حديث متفق عليه ، أخرجه البخاريّ في كتاب المناقب برقم (٣٦٠١) وفي كتاب الفتن برقم (٧٠٨١) ومسلم في كتاب الفتن برقم (٢٨٨٦) .

(٦٧) تقدم تخريجه آنفًا في الهامش (٦٢) .

(٦٨) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة من صحيحه برقم (١٩٢٠) من حديث ثوبان ، رضي الله عنه .

